تقرير حول ندوة

نحو فهم متبادل للعلاقة بين المسلمين والهولنديين

إعداد: أ/ أحمد على سليمان(*)

يبدو أن أزمة الرسوم الدانماركية المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، قد أفرزت الكثير من التداعيات التى نحتاج إلى سنوات لتفادى آثارها السلبية الوخيمة على مسيرة العلاقات بين الإسلام والغرب، وكنا نأمل فى سيادة الحوار الحضارى لتحقيق التعاون العالمى بين مختلف العقائد من أجل البناء وسيادة الأمن والسلام العالمى..

بدأت القضية حينما أعلن فيلدرز، أنه أعد فيلما تسجيليا مدته عشر دقائق بعنوان "فتنة" يوجه فيه انتقادات شديدة للإسلام. حيث يصف القرآن بأنه كتاب فاشى وأنه يحض على التعصب ضد النساء والمثليين، وأن المتشددين يستغلونه للتحريض على العنف، كما يعرض الفيلم إساءات وافتراءات على القرآن الكريم، ويحمله مسئولية العنف والإرهاب فى العالم، ويصف المسلمين بأنهم إرهابيون، وتصل الوقاحة من الكاتب ذروتها بحرق المصحف فى نهاية الفيلم..

ويعرف فيلدرز بانتقاداته الشديدة للإسلام ودعوته إلى "وقف أسلمة أوروبا" وتحذيره من أن الإسلام قد يصبح "القوة السياسية المهيمنة فى أوروبا".

وإزاء ما يحمله مضمون هذا الفيلم من إساءات انقسم المجتمع الهولندى إلى قسمين: قسم -ونحمد الله أنه يمثل أقلية- أراد عرضه، دعما لحرية الفكر والتعبير، وقسم يعارض وبشدة مضمون الفيلم -وبالتالى- وما يحتويه من محاولات غير مبررة للإساءة إلى الأديان والمقدسات الدينية، وذلك للحيلولة دون إزاء مشاعر المسلمين فى هولندا وفى العالم الإسلامى، وحتى لا تدخل هولندا فى دوامة الكراهية مع المسلمين، وما سينتج عن ذلك من تداعيات خطيرة قد لا تحمد عقباها وقد تكون خارج حدود السيطرة.. وقد تنبه رئيس الوزراء الهولندى "يان بيتر بالكند" إلى ذلك، لاسيما فى بلد

(*) المدير التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

مثل هولندا التى يكثر فيها عدد المسلمين البالغ عددهم مليون مسلم ، وحتى لا تقع هولندا فى شراك العداوة، والمقاطعة المؤلمة من العالم الإسلامى، ومن ثم فقد عارض مضمون هذا الفيلم الخطير..

وأدان رئيس الوزراء قيام فيلدرز ببث فيلمه فتنة المسيء للقرآن على شبكة الإنترنت مؤكدا أن ذلك لن يخدم أيا من الأغراض التى يهدف إليها وقد يؤدى لموجات من الغضب ضد هولندا.

وشدد رئيس الوزراء الهولندى على أن بلاده ترفض تفسير الإسلام على النحو الذى يصوره الفيلم، وأصدر بيانا رسميا عبر فيه عن أسفه لعرض الفيلم، وقال إنه يربط بين الإسلام والعنف ونحن نرفض هذا التفسير".

ومن المواقف التى تستحق الإشادة فى هذه الأزمة موقف الإعلام الهولندى الرافض لعرض هذا الفيلم فى القنوات الهولندية، حيث رفضت المحطات التليفزيونية تحمل مسئولية بثه للمرة الأولى خوفا من ردود الأفعال وأعقب إطلاق الفيلم على الشبكة الدولية قيام عدد من المحطات التليفزيونية ببث أجزاء منه نقلا عن الموقع الإلكترونى..

كما حرصت الحكومة الهولندية على إحاطة سفاراتها فى الدول الإسلامية بآخر تطورات الفيلم وما يحيط به من جدل.. وقد اتخذت إجراءات أمنية مشددة فى عدد من المدن الهولندية تحسبا لاندلاع أعمال عنف.

وبحسيب البى بى سى أوضح سفراء هولندا فى الدول الإسلامية أنه بينما تعارض الحكومة بشدة آراء فيلدرز المتطرفة ليس بوسعها أن تمنعه من التعبير عن تلك الآراء.

هذا وقد توالت ردود الفعل العربية والإسلامية والدولية المندة بعرض الفيلم، حيث أدان الأمين العام للأمم المتحدة بان كى مون الفيلم وأقر بان الجهود التى بذلتها حكومة هولندا لمنع بث الفيلم، وناشد من شعروا بالإساءة من الفيلم لأسباب مفهومة التحلى بالهدوء. وقال فى بيان: لا يوجد مبرر للغة الكراهية والتحريض على العنف، فحرية التعبير لا مكان لها هنا، لأن الحرية ينبغى أن تصاحبها دائما مسؤولية اجتماعية،

وأضاف: ينبغى أن ندرك أيضا أن الصدع الحقيقى ليس بين المجتمعات المسلمة والغربية، كما يود البعض أن يجعلنا نعتقد، بل بين أقليات صغيرة من المتطرفين من الأطراف المختلفة التى لها مصلحة راسخة فى إثارة العداء والصراع..

وبحسب جريدة الشرق الأوسط قبل الفيلم الذى بث فى ٢٨ مارس عبر الانترنت، باستياء العديد من البلدان. هذا وقد أعلنت الشركة الأميركية المزودة لخدمة الانترنت نتوورك سوليوشن، فى بيان نشر على موقعها أمس، أنها علقت الموقع الالكترونى الذى حجزه النائب الهولندى اليمينى المتطرف جيرت فيلدرز لبث فيلمه المعادى للإسلام.

وأوضحت الشركة فى بيانها: تلقت نتوورك سوليوشن عددا من الشكاوى بشأن هذا الموقع، تعمل حاليا على درسها وردا على بيان الشركة، صرح فيلدرز أنه ما زال ينوى بث الفيلم على الانترنت بسرعة حتى ولو كان فى ميدنا عاما. وكان موقع فتنة ذى موفى كوم يعرض حتى ٢٨ مارس غلاف مصحف وقد كتب على الصورة قريبا: فتنة وأفادت الشركة بأنها تتحقق مما إذا كان الموقع يراعى قواعد البث المفروضة.

وفى هذا السياق الخطير وبحسب وكالات الإعلان العالمية دعت الحكومات الأوروبية لمنع عرضه، ففى باريس قالت فرنسا إن "حرية التعبير تمثل حرية أساسية وعالمية" يتعين ممارستها فى ظل احترام القانون، ودعا متحدث باسم الخارجية إلى انتظار موقف القضاء الهولندى الذى ينظر دعوى بحظر الفيلم. كما رفض الأمين العام لمجلس أوروبا تيرى ديفيس الصورة المشوهة والمسيئة للإسلام التى يعكسها الفيلم ,ووصفه بأنه تلاعب غير مرغوب يستغل الجهل والأفكار المسبقة والخوف، كما اعتبر أن هذا اليوم يوم حزين بالنسبة للديمقراطية الأوروبية.

والعجيب أن كوبنهاجن التى نُشرت فيها الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم- أدانت على لسان رئيس وزرائها أندرس فوغ راسموسن بث الفيلم معتبرا أنه يشكل استفزازا مجانيا..

وفى السياق نفسه أدانت العواصم الإسلامية هذا الفيلم الذى يسبب شروخا فى العلاقات الإسلامية الغربية، وأن الفيلم لا يخدم أى هدف سوى تأجيج الكراهية. حيث

أدان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو هذا العمل غير المسئول واصفا إياه بأنه "عمل متعمد" يهدف إلى التمييز ضد المسلمين وإثارة الكراهية إزاءهم كما يعتبر تشويها للدين الإسلامى الغرض منه التحريض على إثارة القلاقل والاضطرابات وتهديد الأمن والاستقرار فى العالم.

أما مصر فقد نجح وفدها المشارك فى اجتماعات الدورة الرابعة للبرلمان الأورومتوسطى فى استصدار قرار من لجنة السياسات بالبرلمان يدين الإساءة للأديان وازدراء الأنبياء بعد مناقشات ساخنة شهدتها اللجنة بين الوفد المصرى من جانب ووفدى الدانمارك وهولندا من جانب آخر حيث تبنى الوفد المصرى التصدى لمحاولة النيل من الإسلام وثمة شكوى رفعت أمام القضاء الهولندى ضد الفيلم تقدمت بها جمعية إسلامية تطلب منع بث هذا الفيلم المسيئ للإسلام. وقالت متحدثة باسم محكمة لاهاى إن الأخيرة ستستمع للشكوى التى رفعها الاتحاد الإسلامى الهولندى يوم ٢٨ مارس/ آذار.

وكانت السلطات ذكرت فى وقت سابق أن القانون يمنع أى رقابة مسبقة على الفيلم، وأنه لا يجوز حظره "إلا إذا حصل تحريض على الحقد العنصرى مثلا".

والجدير بالذكر إن الجهات المتعقلة فى هولندا تعمل ليل نهار وبفاعلية من أجل منع هذا العمل من العرض، وقامت بجولات داخلية، كما قام بعضها بجولات مكوكية فى بعض بلدان العالم الإسلامى حيث قام وفد يضم شخصيات رفيعة المستوى من الكنائس الهولندية والمجلس الإسلامى الهولندى بزيارات لبلاد المسلمين لإيضاح ضمنى بتكاتف المسيحيين مع المسلمين فى ذلك، ولتوحيد الصفوف العاقلة لعرقلة عرض هذا العمل المقيت من ناحية ومنع ازدراء الأديان والمقدسات من ناحية أخرى..

والسؤال الذى يطرح نفسه وبشدة هنا:

لماذا لم يبحث المسلمون شعوبا وعلماء وحكاما عن علاج ووسيلة مؤثرة لوقف هذه الإهانات؟ ولماذا لم يحدث تنسيق بينهم لمواجهة ذلك الهجوم من خلال بحث ما يتعلق بالقضايا الحقوقية الدولية المتعلقة بمنع ازدراء الأديان والمقدسات؟

وفى هذا الإطار عقدت رابطة الجامعات الإسلامية لقاء علميا حواريا برئاسة

الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام للرابطة، ضم وفدا هولنديا يتكون من شخصيات مرموقة من مجلس الكنائس والمجلس الإسلامى فى هولندا، بالقاهرة ظهر الأربعاء ٢٦ مارس، وحضره العديد من العلماء المسلمين، ووسائل الإعلام..

وقد ناقشت الندوة النقاط التالية:

طبيعة العلاقة بين المسلمين والهولنديين:

إن المجتمع الهولندى كبقية المجتمعات الأوروبية يضم العديد من الجاليات، وهذه الجاليات مختلفة فى الفكر والدين عن المجتمعات التى يعيشون فيها.. وثمة مشكلات اجتماعية تواجههم خصوصا وأن المجتمع هناك مجتمع علمانى يعارض التدين، وهم يعتقدون أنه لا توجد حاجة لوجود دين.. وأنهم يعتقدون أيضا أن التطور الذى سيحدث بعد ذلك فى أوروبا ينبئ بأنه لن يكون ثمة حاجة للدين بصفة عامة، وأن التطور الفكرى يدعو إلى ذلك..

والإشكالية تتبلور فى أنه مع قدوم المسلمين من الدول الأخرى أصبح هناك بعض التغير فى المجتمع الهولندى، وليس فقط من الإسلام، ولكن هناك جماعات من المسيحيين قدمت أيضا من إفريقيا، وبعض أجزاء من أوروبا.. ففى إطار الجالية المسيحية كانت هناك مبادئ لإحياء المبادئ الدينية الموجودة لدى القدماء.. وهذا يعنى أن المشكلات الخاصة بالدين أصبحت حاليا تحت الأضواء فى أوروبا..

ومع ازدياد عدد المسلمين فى هولندا أمسى هناك شعور بأن الدين لم يذهب للأبد بل أصبح هناك نوع من الشعور بالإحياء الدينى.. ومن ثم فمشكلة العلمانية فى أوروبا تكمن فى أنها لا تعترف بالأديان، وبالتالى فالمجتمع هناك مجتمع لا دينى، وقد أتى عليهم من الخارج دين قوى له معتقداته وأفكاره ويريد أن يفرضها عليهم، وهم يرون أنها تهدد أمنهم وتهدد مستقبلهم وحريتهم وهذه هى مخاوفهم التى ينطلقون منها.. وأرى أنها مخاوف بالية إذا صوحبت باستراتيجية للتعريف بالإسلام الذى يقبل التعايش مع الآخر..

وضع الجالية المسلمة فى هولندا:

والجالية المسلمة فى هولندا تعيش فى هذا البلد منذ أكثر من أربعين عاما، وليس

لديها مشكلات مع الحكومة الهولندية، كما أن الدستور الهولندي يحمي الديانات، وللمسلمين -الذين يبلغ عددهم مليون نسمة- أكثر من أربعمائة وخمسين مسجدا، وخمسين مدرسة إسلامية، ولديهم اعتراف من الحكومة الهولندية منذ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٧، بالدين الإسلامي، بحيث يكون طرفا من الأديان السماوية...

والمشكلة هناك تكمن في أن بعض الأحزاب يفتعلون المواقف ويستغلون الظروف بهدف كسب الأصوات في الانتخابات، من خلال ما يقوم به بعضهم من نشر الخوف من الإسلام لكسب أصوات رجل الشارع، لدرجة أن بعض الأحزاب هناك تستلين الناس بالعداء للإسلام، في ظل غياب إستراتيجية إسلامية موحدة للتعريف بالإسلام الصحيح..

هذا وقد نفى المشاركون من الجانب الهولندي وبشدة أن يكون هناك شعور بالكراهية ضد المسلمين في هولندا.. ولكن إذا تمكن المسلمون من إتقان اللغة الهولندية بطلاقة، فإنهم سيتعايشون مع جيرانهم بسهولة.. ويؤكدون أن المسلمين هناك لهم سائر الحقوق مثل غيرهم، فهناك كفالة للحريات (حرية التعبير، وحرية تكوين منظمات.. إلخ) بيد أن المشكلة التي يراها الهولنديون -كغيرهم من الأوروبيين- أنه لا توجد صورة واضحة وموحدة عن الإسلام فهناك السنة والشيعة وهناك الإسلام السعودي والإسلام العراقي والإسلام الجزائري... ، وهناك السلفيون وهناك المتصوفون وهناك الجهاديون.. إلخ، وبالتالي فالبعض يوجد تعريف معمم للإسلام وهو التطرف.. وبعد أحداث سبتمبر ولندن ومدريد تكوّن لديهم نوع من الربط بين الإسلام والتطرف، وأحيانا يمكن أن يكون هناك نوع من الترجمة للإسلام على أنه دين لا يعترف بالديمقراطية، وينظرون إلى بعض الدول المسلمة على أنها دول غير ديمقراطية..

وبالتالي فإن المجتمع الغربي كله في حاجة ملحة وماسة إلى التعرف على الإسلام بما ينطوي عليه الإسلام من قيم التسامح والتعددية...إلخ.

مصادر الكراهية والخوف من الإسلام:

ونستطيع أن نجمل مصادر الكراهية في عدة عوامل، تتمثل في الجهل بالإسلام، وعوائق التواصل اللغوي، والتضليل الإعلامي المتعمد الذي تغذيه وتذكيه قوى معادية للسلام وللإسلام، والتخوف من الإسلام عن طريق ما تبثه الصحافة في أدمغة الناس من

أفكار مغلوطة ومزورة عنه، وما يكتبه بعض العنصريين وبعض أعضاء البرلمان بهدف كسب الأصوات، ناهيك عن السلوك السيئ لبعض المسلمين هناك، والذي تسبب في رسم صورة سيئة عن الإسلام.

وسائل تحسين العلاقات:

ومن هنا فلابد أن تلعب المنظمات الدولية دورا فاعلا في ذلك من خلال عمل إستراتيجية للتعريف بالإسلام الصحيح، وإرسال البعثات والدعاة المستنيرين، وعقد اللقاءات العلمية والندوات والمؤتمرات المشتركة، والتواصل مع مجتمع الجاليات، ولابد أن يتكاتف الجميع لترسيخ مفاهيم ومبادئ الحوار، ونشر ثقافة التعايش، وسن القوانين الدولية لمنع إزدراء الأديان، وبالتالي منع نشر مثل هذا الفيلم المسئ، ومنع تكرار مثل هذا العمل المشين..

وفي نهاية الندوة أكد الدكتور جعفر عبد السلام على أهمية مثل هذه اللقاءات في تحسين العلاقات والتقارب بين الحضارتين الإسلامية والغربية، كما أكد على أن أن الدين الإسلامي دين قوى ومتين وليس هشا، بل إنه محفوظ بحفظ الله ومحروس بحراسة الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ذلك أن المتتبع لحلقات التاريخ الإنساني يلحظ أن الإسلام تعرض لموجات عاتية من العداء للنيل منه، ولكن هيهيات هيهيات.. فالحافظ هو الله وبالتالي فلن تنال منه أفلام الدنيا كلها لو اجتمعت عليه..